خطبة صلاة الجمعة 11/ 12/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (اللغة العربية: إيجاز وإعجاز)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192 – 195] فوصف ربنا اللغة العربية بالبيان، وهذا وسام شرف وتاج كلل الله به مفرِقَها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3] وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 27، 28].

**أيها الإخوة:**

اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض متين.

(إن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ومن أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العرب ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية.

إن من هداه الله للإسلام اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خيرُ الرسل، والإسلامَ خيرُ الملل، والعربَ خيرُ الأمم، والعربيةَ خيرُ اللغات والألسنة) – فقه اللغة للثعالبي–.

شرّفها الله تعالى فأوحى بها إلى خير خلقه، وعظَّمها فجعلها على لسانَ أمينه على وحيه، وأعلاها فاختص بها في العاجلة خيار عباده وفي الآجلة ساكني جنانه.

وإليكم أيها الإخوة بعض خصائص اللغة العربية لنعرف شيئاً من منزلتها وطرفاً من مكانتها فنحافظ على لغة القرآن ونتقرب إلى الله تعالى بالتمسك بهذا البيان:

**1- اللغة العربية غنية المفردات واسعة الامتداد:**

نقل صاحب " المزهر " عن حمزة الأصبهاني: أن الخليل ذكر عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل من غير تكرار وهي اثنا عشر مليون بناء وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر بناءً (12305412).

بينما نجد الفرنسية لا تحتوي إلا على خمسة وعشرين ألف كلمة (25000)، والإنجليزية على مائة ألف كلمة (100000) فقط.

يقول الألماني فريتاغ: اللغة العربية أغنى لغات العالم.

**2- اللغة العربية لغة المترادفات:**

إذ يكثر أن يكون للمسمى الواحد أكثرُ من مفردة لغوية واحدة، وربما وصلت إلى العشرات بل المئات، مراعية الاختلاف الدقيق في الأحوال والصفات، قال ابن فارس: (فإن أردت أن سائر اللغات تُبين إبانة العربية فهذا غلط؛ لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد وكذلك الأسد والفرس...) وقد سُمِع أن معاني (العين) تنيف على المائة، ومعاني (العجوز) تنيف على الثمانين، ومعاني (الكرم) على الثلاثين، قال ابن خالويه: جمعت (للأسد) خمسمائة اسم، و(للحيّة) مائتين.

فتحت المشي الذي هو المعنى العام أنواع عديدة من المشي: درج، حبا، حجل، خطر، دلف، هدج، رسف، اختال، تبختر، تخلج، أهطع، هرول، تهادى.

لقد ألف اللغويون العرب مؤلفات خاصة بإبراز الفروق بين الألفاظ مثل: الفروق لأبي هلال العسكري، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، وغيرها.

**3- اللغة العربية لغة الإيجاز:**

والإيجاز في العربية على أنواع، فمنها الإيجاز في الحرف، والإيجاز في الكلمة والإيجاز في التراكيب.

ففي الإيجاز في الحرف تكتب الحركات في العربية عند اللبس فوق الحرف أو تحته بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم الحرف أو يزيد عليه.

...وفي العربية إشارة نسميها (الشدة)، نضعها فوق الحرف لندل على أن الحرف مكرر أو مشدد، وبذلك نستغني عن كتابته مكرراً، على حين أن الحرف المكرر في النطق في اللغة الأجنبية مكرر أيضاً في الكتابة.

وفي الإيجاز في الكلمات: تلحظ الفرق واضحاً في بعض الكلمات عند كتابتها بالعربية أو غيرها من اللغات فكلمة "أم" في العربية حرفان بينما معناها في الإنكليزية مثلا mother أربعة أحرف نطقاً وستة أحرف كتابة، ومثلها "أب" father ومثلها "أخ" خمسة أحرف نطقاً وسبعة كتابة.

وفي الإيجاز في التراكيب: فالجملة والتركيب في العربية قائمان أصلاً على الدمج أو الإيجاز. فتقول مثلاً (أنا مسرور) على حين أن ذلك لا يتحقق في الإنكليزية، إلا بإضافة ما يساعد على الربط فتقول: (I am happy).

وفي النفي تقول: (لم أقابله)، بينما تحتاج في الإنكليزية للقول: (I did not meet him).

وسورة (الفاتحة) المؤلفة في القرآن من 31 كلمة استغرقت ترجمتها إلى الإنكليزية 70 كلمة.

فاللغة العربية لغة المرادفات والإيجاز والسعة. وقد ألقى القرآن الكريم ظلاله عليها فكانت خادمة لإعجازه مظهرة لإيجازه.

وإليكم أمثلة عن إعجاز اللغة في القرآن الكريم:

1- إعجاز الحرف: في سورة القلم قال الله تعالى مادحاً حسن خلق نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] فلماذا استخدم القرآن حرف الجر "على" ولم يقل مثلا "وإنك ذو خلق عظيم"، "إنك صاحب خلق عظيم"، "إنك عظيم الأخلاق".

الجواب: حرف الجر "على" يفيد معنى الاستعلاء، تقول: الكتاب على الطاولة بمعنى أنه فوقها، والخطيب على المنبر أي أنه ارتقى المنبر حتى علاه.

والنبي صلى الله عليه وسلم ارتقى سلّمَ الأخلاق حتى علاها وتمكن منها حتى صارت سجية له وطبعاً.

فصارت أخلاقه صلى الله عليه وسلم سيدة الأخلاق، وغدت شمائله صلى الله عليه وسلم أصل الخصال الحميدة.

وهذه الصورة المحسوسة للارتقاء والعلو أفادها حرف الجر على، لتكون اللغة خادمة لإعجاز القرآن، ويكون القرآن حافظاً لها.

2- إعجاز الكلمة: في سورة البقرة قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187].

فلماذا استخدم كلمة اللباس في وصف كل من الزوجين بالنسبة للآخر، وهل تصلح كلمة أخرى مكان هذه الكلمة.

اللباس أقرب شيء مادي إلى بدن الإنسان، واللباس يقي المرء حرارة الصيف وبرودة الشتاء، واللباس ساتر للعورات، واللباس يتناسب مع لابسه.

وكأني بهذه اللفظة تلقي ظلالها على العلاقة بين الزوجين ليكون كل منهما أقرب ما يكون لصاحبه، وليقيه نائبات الزمان، وليستر عيوبه ونواقصه، وليَعلم كل زوجين أن كلا منهما يتناسب مع صاحبه.

فكل هذه المعاني اللطيفة والعميقة ألقتها كلمة اللباس على النص، لتكون اللغة العربية خادمة لإعجاز القرآن ويكون القرآن حافظا لها.

3- إعجاز الجملة: قال تعالى على لسان سيدنا زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4]

فقوله اشتعل الرأس شيبا: (أصل الاشتعال للنار والمراد كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايداً سريعاً صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار... ثم إن الشيب إذا انتشر في الرأس لا يتلافى كاشتعال النار).

فقد رسمت الجملة في القرآن صورة بينت المعنى المراد وجلته للأعين كما الآذان، لتكون اللغة العربية خادمة لإعجاز القرآن ويكون القرآن حافظاً لها.

**وبعد أيها الإخوة:**

لما كان المسلم مطالباً بتلاوة القرآن الكريم، فهو مطالب بتعلم اللغة العربية، ومن هنا اكتسبت اللغة العربية القداسة النورانية والخلود، وكل نيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن الكريم ومن الفكر والثقافة.

قبل أيام وفي لقاء السيد رئيس الجمهورية مع الدعاة والداعيات في وزارة الأوقاف كان من نقاط الحديث حديث عن اللغة فقال: (اللغة العربية هي الحامل الطبيعي للفكر والثقافة بشكل عام... وعندما تندثر هذه اللغة أو تتراجع أو تضعف يجب أن نعرف بأن هناك حاجزاً وغربة بين الانسان والثقافة).

فمن أراد أن يقترب من القرآن فليقترب من اللغة العربية، ومن أراد أن يتقن اللغة العربية فليقرأ القرآن وليدرس تفسيره ومعانيه.

**أيها الإخوة:** اللغة العربية لغة الخلود لا تزول عن الأرض إلا أن يزول هذا الكتاب المنزّل، تكفل الله بحفظها إذ تكفل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

والحمد لله رب العالمين